مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية

اسم المقال: ملامح الدور الاقتصادي والثقافي لجزيرة قيس في الخليج العربي 366 - 731 هـ/977 - 1330م
اسم الكاتب: مريم علي الكندي، نجيب بن خيرة
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/index.php/library/9087
تاريخ الاسترداد: 2026/11/01 20:18 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

جامعة الشارقة
UNIVERSITY OF SHARJAH

مجلة جامعة الشارقة

مجلة علمية محكمة

للعلوم الإنسانية والاجتماعية



عدد B

المجلد 17، العدد 2
ربيع الثاني 1442 هـ / ديسمبر 2020م

الترقيم الدولي المعياري للدوريات 1996-2339

مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية المجلد 17 العدد 2 (B) ديسمبر 2020م
https//:doi.org/10.36394/jhss/17/2B/13

ملامح الدور الاقتصادي والثقافي لجزيرة قيس في الخليج العربي 366–731 هـ/977–1330م

مريم علي الكندي[1]
نجيب بن خيرة[2]

تاريخ الاستلام: 19-03-2019 تاريخ القبول: 24-04-2019

ملخص البحث:

يعنـي هذا البحث بدراسـة ملامـح الدور الحضـاري المتمثل في المناشـط الاقتصاديـة والثقافية لجزيـرة قيـس فـي الخليـج العربـي ابتداء بتسـميتها وأهميـة موقعهـا إلـى إبـراز مـا تـم فيهـا مـن بعـض الإنجـازات طيلـة مـدة الدراسـة، حيث حوَّلهـا حكامها المتعاقبـون عليها إلى محطـة غاية في الأهميـة تعاظمـت بعدهـا إمكانياتهـا الاقتصاديـة والسياسـية لتضـم أراضـيَ مختلفة وبعيـدة جغرافيا عنهـا، كمـا يُظهـر هـذا البحـث الحيـاة الثقافيـة التـي كانـت تعيشـها الجزيـرة، والعلماء الذيـن برزوا فيهـا سـواء مـن السـاكنين فيهـا أو المارين منها.

الكلمات الدالة: جزيرة قيس، الحياة الاقتصادية والاجتماعية، جمال الدين الطيبي.

(1) كلية الاتصال - جامعة الشارقة (الشارقة - الإمارات العربية المتحدة)
malkindi.3535@gamil.com

(2) كلية الاتصال - جامعة الشارقة (الشارقة - الإمارات العربية المتحدة)

توطئة

لم يكن التألق الحضاري خلال العصر الإسلامي الوسيط [1]مقتصرا على عاصمة الخلافة وحواضر الدول المستقلة مشرقا ومغربا كالقاهرة ودمشق والقيروان وقرطبة، ونيسابور ومرو وسمرقند وشيراز... بل تجاوز الدور الحضاري أيضا إلى أطراف العالم الإسلامي المترامي الأطراف حيث الجزر الصغيرة، والأقاليم البعيدة.

وها هي جزيرة قيس في عمق الخليج العربي تؤدي دورها الحضاري في الاقتصاد والاجتماع والثقافة، كما تؤديه أي حاضرة من الحواضر في بلاد الإسلام الواسعة.

وهذه الورقة البحثية تقدم عرضا لملامح هذا الدور الاقتصادي والثقافي لجزيرة قيس بعدما وقر في أذهان الكثيرين، أن الجزر في الخليج العربي كانت تابعة لسلطان فارس على تعاقب الدول الحاكمة فيه... فهي لا تزيد - في رأي البعض - أن تكون محطة للتجار السيارة أو وكالة للسلع العابرة، وسكانها خدم لا أسياد، وثرواتها نهبا لكل من غلب!

ومن خلال النصوص الكثيرة العربية والفارسية، تبين أن جزيرة قيس كانت مركزا مهما في بحر الخليج، سكنتها أعراق وأجناس وأديان وأروماتٍ... وقد سمح لها موقعها الجغرافي بفاعلية كبيرة في مناشط اقتصادية مختلفة، وأصبحت من خلاله مرفأ للسفن الغادية والرائحة بين موانئ البصرة وبلاد الهند والصين...مما جعل حكامها على فترات زمنية متطاولة يفرضون سيطرتهم على الجزر المجاورة في عصر بني قيصر (366هـ- 626هـ / 976 - 1228م)، وحكم الأتابك أبو بكر سعد زنكي (623هـ 659هـ/ 1226 - 1260م) إلى عصر الإيلخانيين بحكم جمال الدين إبراهيم الطيبي سنة 692هـ/ 1292م الذين أولوا الجزيرة كل الاهتمام، وحرصوا على جعلها مركزا تجاريا جاذبا وآمنا في الخليج العربي.

(1) العصر الإسلامي الوسيط: يمكن تحديده من القرن الثاني إلى القرن الثامن الهجري.

1. جزيرة قيس التسمية والموقع:

تعتبر جزيرة قيس واحدة من أهم الجزر في الخليج العربي التي أدّت دوراً فاعلاً عبر تاريخها الطويل على الساحة الإقليمية والدولية، وتنسب جزيرة «قيس» إلى مؤسسها (قيس بن عميرة)[1] في العصر الجاهلي[2]، وقد صعد نجمها في الخليج بعدما تعرضت سيراف[3] إلى ضربة زلزال مدمرة حوَّلها إلى ماضي وذكرى[4].

تقع جزيرة قيس في الخليج العربي الذي يمثل أقصى امتداد للعالم العربي نحو الشرق، ويقع الخليج العربي بين إيران المعروفة سابقا بفارس من جهتي الشمال والشرق، وبعض البلاد العربية من جهتي الجنوب والغرب، ويمتد بين العراق من جهة الشمال الغربي والإمارات العربية المتحدة ورأس مسندم ومضيق هرمز من جهة الجنوب الشرقي، ويبدو كذراع مائي متداخل في الشرق الأوسط، ومتصل بالمحيط الهندي عبر مضيق هرمز وخليج عمان والبحر العربي[5].

تبعد الجزيرة عن سلطنة عمان بمسافة تقدر بحوالي 120 ميلًا، وتقدر المسافة عن ميناء سيراف بـ 120 ميلا، بينما تبعد عن جزيرة هرمز بمسافة تقدر بـ 100 ميلٍ، وهي من الجانب الآخر تبعد عن البحرين بمسافة تقدر بـ 210 أميال[6].

---

(1) قيس بن عميرة: هو من أحفاد عقيل بن عامر الذي اشار إليه ابن فضل الله العمري وقال هو: قيس بن عميرة بن عقيلة بن شبانة بن قديمة بن نباتة بن عامر الخالدي القرشي. انظر: علو. عماد. القوى البحرية والتجارية في الخليج العربي خلال العصور الإسلامية. عمان - الأردن، دار الجنان للنشر والتوزيع، ط 1، 2017 م، ص116.

(2) الحموي، ياقوت. معجم البلدان. بيروت - لبنان، دار صادر، ط9، 1436ه -2015م، ج4، ص295.

(3) سيراف: هي الميناء الرئيسي بمنطقة فارس عن اعانته المتجر الرئيس في الخليج العربي قبل جزيرة قيس أي في القرن الرابع الهجري – العاشر الميلادي حيث إنها كانت تنافس البصرة على المستوى التجاري، وكانت بيوت سكانها في تلك الفترة كبيرة متعددة الأدوار شيدت من خشب الساج وغيره من الأخشاب، التي تجلب من زنجيا، وقد كانت سيراف أهم مدن مقاطعة أردشير بعد مدينة شيراز، حيث تتساوي في المساحة معها تقريبا، وليس سيراف ميناء بمعنى الكلمة، فقد جرت العادة أن تخوض السفن في خليج ضارب بين جبلين طوله ثمانية أميال حتى تأمن الرياح. انظر: السيراف، سليمان. رحلة السيرافي إلى الهند والصين وإلىابان وأندونيسيا. دراسة وتحقيق: على البصري، الفرات للنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ط 1، 2016م، ص 16 انظر: الحموي. معجم البلدان. بيروت – لبنان، دار صادر، ج 3، ص 294 – 295 انظر: ويلسون، أرنولد. الخليج العربي من العصور الأولى حتى بداية القرن العشرين، ترجمة مركز المؤسسة الدار العربية للموسوعات، بيروت – لبنان، 1433 هـ /2012م.

(4) المقدسي، محمد بن أحمد، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ليدن، مطبعة بريل، ط 2، 1906، ص 236.

(5) جواد، نعمت محمد. الخليج العربي في كتب الرحالة والجغرافيين المسلمين. بغداد – العراق، دار الكتب والوثائق، ط1، 2016م، ص 38.

(6) أحمد وناجي. العمق التاريخي العربي لجزر الساحل الشرقي للخليج. مرجع سابق، ص 101.

وجزيرة قيس موضوع الدراسة من هذه الجزر التي ساعدها موقعها الجغرافي المتميز على خطوط الملاحة البحرية في تفعيل نشاطها التجاري[1]، فأصبحت مرفأ سفن الهند والصين، وفرضة عظيمة[2]، كما أن نشاطها التجاري المزدهر أسهم أيضا في تفعيل نشاطها السياسي، وأدت دوراً كبيراً في تلك الفترة[3].

وتحتوي جزيرة قيس على قرى عديدة أهمها: - قرية سافل(Safil) وقرية ده(Dih) وقرية سارماشه (Saremsheh[4])

وهذا ياقوت الحموي كتب واصفاً الجزيرة قائلا: «قيس جزيرة وهي كيش في بحر عمان دورها أربعة فراسخ، وهي مدينة مليحة المنظر ذات بساتين وعمارات جيدة، وبها مسكن ملك ذلك البحر صاحب عمان، وله ثلثا دخل البحرين، وهي مرفأ مراكب الهند وبر فارس، وجبالها تظهر منها للناظر، ويزعمون أن بينها أربعة فراسخ، رأيتها مرارا وشربهم من آبار فيها، ولخواص الناس صهاريج كثيرة لمياه المطر، وفيها أسواق وخيرات، ولملكها هيبة وقدر عند ملوك الهند لكثرة مراكبه»[5].

من هنا نلاحظ أن ياقوت الحموي سمى الجزيرة بقيس، وقدم الاسم العربي على الاسم الأعجمي، وهذا دليل على أن كيش هي تعجم قيس، وأن أصل التسمية هي قيس وليست كيش، ولكن نطقت كيش عند الفرس، لأنهم لم يستطيعوا نطق الكلمة بالشكل الصحيح، لعدم وجود حرف القاف في لغتهم، فصعب عليهم نطقها فعجموا كلمة قيس، فقالوا: كيش، وهذا الكلام ذكره ياقوت الحموي، وهو الجغرافي والأديب الذي يتحرى المصداقية في كتاباته[6].

وكما هو معروف فإن أتابكة فارس من السلاجقة في زمن ياقوت الحموي سيطروا على أجزاء كبيرة من المناطق الساحلية في الخليج العربي من جهة فارس والجزر القريبة من هذا الساحل، ولكن هذا الحدث لا ينفي وجود العرب الذين استقروا على ساحل فارس والجزر

(1) انظر: ابن خرداذبه. المسالك والممالك. ليدن، مطبعة بريل، ط1، 1889م، ص 62.

(2) انظر: الحموي. معجم البلدان. ج3، ص 295.
والفرضة: مَحطُّ السُفنِ، الجمع فُرَضٌ وفِراضٌ. انظر: مجمع اللغة العربية. المعجم الوجيز. القاهرة - مصر، دار الكتب المصرية، 2014م، ص 467.

(3) أبو عزة، عبد الله. الخليج العربي في العصر الإسلامي - دراسة تاريخية حضارية. الكويت، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، ط1، 1421هـ /2001م، ص 385.

(4) المبادر. سالم سعدون. الخليج العربي دراسة في الجغرافيا الإقليمية. بغداد – العراق، دار الحرية للطباعة، ط1، 1981م، ص 61.

(5) الحموي، معجم البلدان، ج 4، ص 422.

(6) علو، عماد. القوى البحرية والتجارية في الخليج العربي خلال العصور الإسلامية. مرجع سابق ، ص 116.

المقابلة له منذ قديم الزمان، وامتزاجهم مع الفرس، وتعلمهم اللغة الفارسية ليس دليلاً على أنهم أصبحوا فرساً، فهم وإن استقروا في ذلك الساحل وجزره إلا أنهم ظلوا محافظين على عروبتهم وطبائعهم التي ورثوها عن أجدادهم، فهويتهم العربية ظلت معهم وإن أتقنوا الفارسية[1].

وربما انتشر اسم كيش في زمن ياقوت الحموي؛ لأن الفرس في تلك الأيام كانت الغلبة لهم، وكما هو معروف فإن القوي هو من يكتب تاريخه، ويملأ ذلك التاريخ بما يشاء من بطولات وأحداث جسام وغيرها، والقوى إن تكلم لا بد للناس أن يصدقوه في كل شيء يرويه ويحكيه، وهذا حاصل حتى في يومنا[2].

ويخبرنا القزويني في كتابه آثار البلاد وأخبار العباد بما فيه تأكيد لكلام الجغرافيين السابقين الحموي والإدريسي عن جزيرة قيس قائلا: «قيس جزيرة في بحر فارس دورها أربعة فراسخ ومدينتها حسنة مليحة المنظر ذات سور وأبواب وبساتين وعمارات وهي مرفأ لمراكب الهند والفرس ومنقلب التجار ومتجر العرب والعجم شربها من الآبار ولخواص الناس صهاريج وحولها جزائر كلها لصاحب قيس»[3]. كما أردف قائلا: «يجلب منها كل أعجوبة وقعت في بلاد الهند»[4].

ولعل تواجد السكان بالجزيرة راجع لعوامل اقتصادية وسياسية وأمنية، ساهمت في الدور الحضاري لها طيلة العصر الإسلامي الوسيط.

(1) المرجع نفسه ص 118.

(2) حويرب، جمال. جزيرة قيس بن عمير أم كيش. جريدة البيان – دبي، الإمارات العربية المتحدة، المجلد 33 العدد10، 26 ماي 2013م، ص 2.

(3) القزويني. آثار البلاد وأخبار العباد. بيروت – لبنان، دار صادر، ط 3، 2011م، ص 243.

(4) المصدر نفسه . ص 243.

2. ملامح الدور الاقتصادي لجزيرة قيس في الخليج العربي:

2 - 1 - التجارة الخارجية:

انتعشت الحياة الاقتصادية في جزيرة قيس نتيجة التبادلات التجارية، وكثرة السفن الداخلة والخارجة إلى ميناءها، كما زاد من أهميتها وتبادلاتها التجارية حب أهلها للعمل في التجارة[1] وركوب البحر وتحملهم للأسفار البعيدة[2]. وكيف لا وهم سيرافيون مشهود لهم بحبهم للبحر، حيث تحدث عنهم الأصطخري قائلا: «لم يخرج من السفينة نحو أربعين سنة، وكان إذا قارب البر أخرج صاحبه لقضاء حوائجه في كل مدينة، ويجول من سفينة إلى أخرى إذا انكسرت أو تشغثت فاحتيج لإصلاحها»[3].

عجت أسواق جزيرة قيس بالكثير من البضائع القادمة من مختلف أنحاء الأرض من الهند والصين وجنوب شرق إفريقيا وسيلان، حيث كان هناك مكان يسمى دار التجارة، تتجمع فيه السلع القادمة من الصين والهند، ويشحن جزء منها إلى هرمز، أما الجزء الباقي يتم تصريفه في أسواق جزيرة قيس، والبعض الآخر يتم تخزينه في أماكن آمنة ومناسبة للتخزين، حيث يتم نقله عبر الزوارق الصغيرة إلى ضفاف سواحل فارس، فيصرف بعدها في الهضبة الإيرانية وما جاورها من بلدان.

وهكذا أصبحت جزيرة قيس من أهم مراكز التجارة العالمية، وكان كبار تجار فارس أمثال الخواجة نجم الدين الشيرازي، وعدد كبير من تجار فارس والعرب يعيشون فيها من أجل التجارة وإتمام صفقاتهم التجارية في موانئها.

بلغت جزيرة قيس درجة كبيرة من الثراء نتيجة المبادلات التجارية مع أنحاء كثيرة من العالم، حيث كتب الشاعر سعدي متحدثا عن الثراء الذي كانت تتمتع به الجزيرة في عهد الأتابك أبو بكر. فذكر أنه عندما كان موجوداً في جزيرة قيس رأى مائة وخمسين جملا كانت ملكا لتاجر قدم للمتاجرة في الجزيرة، كما أنه رأى أربعين عبدا من الخدم، كما ذكر أنه كان هناك خادم يخدم الشاعر السعدي طوال الليل، وهو في جزيرة قيس، وكان خلال فترة تواجده في الجزيرة يستمع لحديث التجار والناس خاصة عندما يجتمعون ليلا، حيث استمع إلى حكايات كثيرة وروايات عديدة عن أماكن مختلفة وأشخاص كثيرين، فسمع أن فلان سافر

(1) التطيلي. بنيامين. رحلة بنيامين التطيلي. ترجمة عذرا حداد، الوراق للنشر، بغداد- العراق، ط1، 1945م. ص 196.

(2) 5) أحمد، لبيد، ناجي، عبدالجبار. العمق التاريخي العربي لجزر الساحل الشرقي للخليج العربي. الموصل - العراق، دار الحكمة للطباعة والنشر، ط 1، 1991 م. ص 78.

(3) تبار وبراونه. كيش أفول سيراف تارونق هرمز. تهران، نشر مور خان، ص 87.

إلـى تركمانسـتان وفـلان آخـر انتقـل ببضاعتـه إلـى الهنـد، والكثيـر مـن الحكايـات المختلفـة والندر المشـوقة والطـرف[1].

كمـا ذكـر بأنه التقى بشـخص سـافر إلى الإسـكندرية، فتحدث السـعدي عن هـذه المدينة الجميلة وعـن جوهـا السـاحر، وقـد ذكـر أيضـا أنه اسـتمع للكثير مـن الحكايـات المشـوقة التـي تناولت ذكر سـلع مختلفـة كالخـزف الصينـي والديبـاج الرومـي والحديـد الهنـدي والكاسـات الحلبيـة والعبايـات اليمنيـة، وكان بعـد أن يسـتمع لـكل تلك الحكايـات كل ليلة ينصرف إلى حانوته ليختلي بنفسـه ويفكر ويتأمـل كل مـا حكـي له وكل ما سـمعه.

عنـد التأمـل فـي كلام الشـاعر السـعدي الـذي ذكـره عـن جزيـرة قيـس نسـتطيع أن نتعـرف علـى الحالـة الاقتصاديـة المنتعشـة التـي كانـت تعيشـها الجزيـرة، جعلـت منهـا ملتقـى التجـار مـن جميـع أصقـاع الأرض، وسـاهمت ظروفهـا الاسـتثنائية في امتـزاج اقتصادي وثقافي متنوع شـهدته الجزيرة.

نسـتطيع أن نتعـرف علـى أسـماء السـلع وأنواعهـا التـي اسـتقبلتها موانـئ الجزيـرة ودرجـة أهميـة تلـك السـلع وحجـم المبادلـة التجارية بين التجـار والدور والوسـاطة التي كان يقوم بها سـكان الجزيـرة فـي التجـارة، وهـذا فيـه تأكيـد لـكلام الرحالـة بنيامين التطيلـي، حيـث اعتبر هـذا الرحالة أول مـن التفـت إلـى دور الوسـاطة الـذي كان يقوم به سـكان جزيرة قيس، مما عمـل لاحقا في تقوية اقتصادهـا وبالتالـي ازدهارها[2].

كمـا نسـتطيع أن نسـتنتج مـن كلام الشـاعر أن جزيـرة قيـس هيـأت المـكان المناسـب للتجـار للقيـام بالتجـارة، والبقـاء فـي الجزيـرة، فوفـرت لهـم كل سـبل الراحـة مـن أجـل اسـتكمال تجارتهـم وصفقاتهـم التجاريـة، كمـا يأخذنـا النـص لمعرفة أهـم المراكز التجارية التي تشـهد تبـادلات تجارية بيـن قيـس وبينهـا[3]، لـذا فـكلام سـعدي سـلط الضـوء علـى جانـب مهم فـي اقتصـاد الجزيـرة ومدى اتسـاع الحركـة التجاريـة فيهـا، فكانـت سـفن الجزيـرة أكثـر السـفن التـي رسـت فـي موانـئ الهنـد الرئيسـية مثـل كجـرات ومالابـار، حيـث عمـل تجـار قيـس فـي الموانـئ والمـدن الهنديـة التجارية، وكانـوا مسـؤولين عـن التجـارة فـي هذه الموانـئ، وأعطيت لهم صلاحيات الإشـراف على الرسـوم الجمركيـة والتجـارة والتبـادلات التجاريـة، حتـى أن بعـض القيسـيين حصـل علـى لقـب مرزبـان

(1) جمنكار. جايكاه جزيرة كيش درتجارتدريا بي عصر ملوك بني قيصر. مقاله در فصلنامه، بزوهشنامه تاريخ هاي محلي، إيران، 1391 هـ /ش، ص 15.

(2) تبار وبراونه. كيش أفول سيراف تارونق هرمز. مرجع سابق، ص 8 7.

(3) المرجع نفسه، ص 87.

عندما أعطيت له امتيازات شاه بندر وعلى رأسها أن يكون مدير هيئة الميناء[1]. وأول من حصل على هذا اللقب هو تقي الدين أخو ملك الإسلام جمال الدين الطيبي[2].

يضاف إلى ذلك أن تجار قيس سكنوا في أماكن ومناطق تابعة لملوك الهند، وكانت هذه المدن نفسها سكنى ملوك الهنود أنفسهم.

كان الخليج العربي بجزره ومدنه وموانئه ساحة اتصالات قائمة على الطرق البرية والبحرية المارة به، والتي كانت بطبيعة الحال تخضع لمتغيرات سياسية واقتصادية واجتماعية. ولا ننظر للمحيط الهندي في التاريخ فقط من الناحية الجغرافية، بل محيطاً أساسياً كان محور الاتصال بين هذه المنطقة والعالم بأسره، وذلك لأن المحيط الهندي شغل مساحة هائلة أثرت في عملية الاتصال والارتباط الثقافي والاقتصادي المشترك[3].

واتصال الخليج العربي بهذا المحيط كان له أثره في جعل هذا الخليج وجزره وموانئه ميدانا للعلاقات والتقارب والتبادل الثقافي والتجاري عبر التاريخ[4].

وخلال القرن الخامس الهجري والحادي عشر الميلادي[5] ارتبطت جزيرة قيس ببلدان كثيرة حول العالم، واستطاعت من خلال تلك العلاقات أن تمهد لعلاقات تعدت مجال التجارة للسياسة والاجتماع والثقافة والفن والعلم والشعر والأدب[6]. فهي مركز تجمع فيه الناس من شتى بقاع العالم للمتاجرة[7]، أو للعمل في الوساطة التجارية[8]، أو لتفريغ بضائع وتحميل بضائع[9]، فكانت بمثابة ملتقى كبير لثقافات متعددة رسمت مجتمعة صورة لمجتمع قيسي

(1) ياجيما، تجارة بحر الهند في عصر المغول مع الاهتمام بالنشاط التجاري لتجار جزيرة قيس، جامعة المعلومات والثقافة بطوكيو، تويو جاوه، المجلد 3، العدد 4، 1975م. ص 21 – 22.

(2) خوري والتدمري، سلطنة هرمز العربية، مركز لدراسات والوثائق، رأس الخيمة – الامارات، ط1، 1421ه / 2000م. ص 127.

(3) ياجيما، تجارة بحر الهند في عصر إمبراطورية المغول مع الاهتمام بالنشاط التجاري لتجارة جزيرة قيس، مرجع سابق، ص 1.

(4) المرجع نفسه، ص 1.

(5) أحمد وناجي. العمق التاريخي العربي لجزر الساحل الشرقي للخليج العربي. مرجع سابق، ص 93.

(6) تبار وبراونه. كيش أفول سيراف تارونق هرمز. مرجع سابق، ص 98.

(7) القزويني. آثار البلاد وأخبار العباد. ص 243.

(8) بنيامين. رحلة بنيامين. ص 196.

(9) الحموي. معجم البلدان. ج4، ص 422.

مزدهر اقتصادي وسياسي في العصر الإسلامي الوسيط[1].

إن أبلغ تأكيد ما كتبه الجغرافيون المسلمون وغير المسلمين أمثال الإدريسي[2] ياقوت الحموي[3] والقزويني[4] وبنيامين التطيلي[5]، حيث حوت كتاباتهم الشيء الكثير عن التعريف الدقيق لهذه الجزيرة ودورها في الخليج العربي سياسيا وحضاريا.

2 - 2 ـ قوة الأسطول القيسي:

من أجل بيان قوة جزيرة قيس الاقتصادية يمكن التنويه بأسطولها التجاري خلال الفترة ـ محل الدراسة ـ وهذا ما ذكره الإدريسي بقوله: «مما يقابل مسقط جزيرة تسمى جزيرة كيش، وهي جزيرة مربعة طولها اثنى عشر ميلا في عرض اثنى عشر ميلا، وفيها مدينة كيش فوليها عامل من اليمن، فحصنها وأحسن تحصينها، وأحسن إلى أهلها وعمرها، وأنشأ بها أسطولا، فغزا به بلاد اليمن الساحلية، فأضر بالمسافرين والتجار، ولم يترك لأحد مالا، وأضعف البلاد وانقطع بذلك السفر من عمان إلى عدن، وصاحب جزيرة كيش يغزو بهذا الأسطول مدينة الرانج، ويصل إلى بلاد القامرون[6]، وأهل الهند يخافونه ويهابون شرّه، ويواسونه بالمراكب المسماة المشعيات، وقد ذكرناها في بلاد الهند، وحكينا عمن أخبرنا بها، وأن هذه المشيعات يكون طول المركب منها طول الغراب الكامل من عود واحد يجدف به مائتا رجل، وأخبر مخبر في وقت هذا التأليف أن عند صاحب كيش من هذه المراكب المسماة المشيعات خمسين مركبا كل واحد منها من قطعة واحدة وعنده من سائر المراكب الملفقة جملة عديدة، وهو الآن على هذا الحال يغزو ويسبي وعنده أموال كثيرة، وليس لأحد به طاقة، وبمدينة كيش زروع وأغنام وأبقار وكروم، وفيها مغايص اللؤلؤ الجيد، ومن صحار إلى هذه الجزيرة مجريان، ويحاذي هذه الجزيرة من بلاد اليمن مسقط وبينهما مجرى»[7].

(1) تبار وبراونه. كيش أفول سيراف تارونق هرمز. مرجع سابق، ص 98.

(2) الإدريسي، محمد بن محمد، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق. القاهرة ـ مصر، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 1422هـ/2002م، ص 156 – 157.

(3) الحموي. معجم البلدان. ج4،ص 422.

(4) القزويني. آثار البلاد وأخبار العباد. ص 243.

(5) التطيلي. رحلة بنيامين. ص 196.

(6) القامرون : بلد إلى الشرق من الهند ، ويدعى ملوكها ملوك القامرون .

(7) الإدريسي. نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ص 156 – 157.

ويتبين من كلام الإدريسي حب حكام جزيرة قيس بالتفرد بالتجارة والاستحواذ عليها[1]، حيث نجح حكام قيس في عرقلة وشل الحركة التجارية في ميناء صحار، والإضرار بموقعها الاستراتيجي الاقتصادي، وذلك باعتبارها منافسا قويا لجزيرة قيس، حيث كانت صحار المدينة والميناء والمرفأ الذي تنطلق منه السفن التجارية الذاهبة إلى الهند والصين فهي فرضة خليج عمان[2]، كما كانت سيراف فرضة الخليج العربي[3]، والإضرار بمكانة صحار سيؤدي حينئذٍ إلى ارتفاع شأن جزيرة قيس وانفرادها بالهيمنة على الطريق الملاحي والتجاري البحري المؤدي إلى الهند والصين، وإحكام سيطرتها على التجارة الدولية عصب الحياة في تلك الفترة[4].

لم يتوقف دور الأسطول القيسي على الإضرار بتجارة صحار فقط، بل تعداها إلى منطقة أبعد منها وهي عدن، حيث توجه الأسطول القيسي إليها رغبة في الاستحواذ على جزء كبير من تجارتها، فضرب عليها حصاراً شديداً دام شهرين، وهنا نستطيع أن نلمس قوة الأسطول القيسي وكثرة عدد بحارته ومهاجميه، إذ احتوت هذه الحملة على سبعمائة من الجاشو الذين هاجموا عدن وحاصرها، وطول فترة الحصار تكشف لنا التخطيط المسبق لهذه الحملة، مع الأخذ بعين الاعتبار توفير المؤن، وكل ما يلزم ليدوم فترة طويلة كما يتضح امتلاك القيسيين لسفن كثيرة وكبيرة تستطيع أن تعبر هذه الأميال البعيدة لتهاجم ثم تحاصر ثم تعود.

2 - 3 - سياسة التسامح عند أمراء جزيرة قيس:

لعل لسياسة أمراء جزيرة قيس التجارية بالغ الأثر في استقطاب أعداد كبيرة من الناس متنوعة في الأعراق والأديان، مما أدى إلى تفعيل مركز جزيرة قيس وتقوية مركزها في الخليج العربي فسكن الجزيرة العرب والفرس والأكراد والتركمان[5] واليهود بأعداد كبيرة.

ولقد أشار بنيامين التطيلي إلى أن خَمس مئة من اليهود يقيمون في الجزيرة[6]، وكانت كل هذه الأطياف تشارك بنفسها في النشاط التجاري حيث عملوا كوسطاء ودلالين[7].

(1) المصدر نفسه، ص 111.

(2) أحمد وناجي. العمق التاريخي العربي لجزر الساحل الشرقي للخليج العربي. مرجع سابق، ص 111.

(3) الحموي. معجم البلدان. ج3، ص 294.

(4) أحمد وناجي. العمق التاريخي لجزر الساحل الشرقي للخليج العربي. مرجع سابق، ص 111.

(5) تبار وبراونه. أفول كيش تارونق هرمز. مرجع سابق، ص 82.

(6) التطيلي. رحلة بنيامين. ص 196.

(7) االمصدر نفسه، ص 196.

2 - 4 - انتكاسة مدينة البصرة:

ومن جانب آخر فإن انتعاش جزيرة قيس ومدينتها تجاريا قد جاء في فترة تاريخية مهمة، شهدت فيها مدينة البصرة انتكاسة وضعفا من الناحية التجارية خلال فترة التسلط الأجنبي البويهي والسلجوقي على العراق، وانشغال أمراء هذه الأسرة الأجنبية في النزاعات السياسية المحلية وإهمالهم للشؤون الاقتصادية والتجارية وصيانة طرق الملاحة البحرية من أية أخطار[1].

كل هذه المتغيرات والأحداث السياسية والاقتصادية ساهمت في انتفاع جزيرة قيس منها، فعادت بمردود جيد على الجزيرة وتجارتها حيث إن الأحداث التي مرت بها البصرة وأحوالها السيئة أدت إلى تقهقرها وتراجعها تجاريا فنصب حكام قيس من أنفسهم تجاراً ووسطاء[2]، بدلا مما كان يقوم به تجار مدينة البصرة الذين اشتهروا بنشاطهم التجاري مما جعل جزيرة قيس تحتكر التجارة في الخليج في حين سادت فيه نزاعات المتسلطين الأجانب، وانشغالهم عن تطوير الأحوال الاقتصادية فيه.

ولم يكتفِ القيسيون بأخذ دور الوساطة في التجارة، بل تعدى هذا إلى العمل على زيادة نفوذهم التجاري، وذلك بإنشاء مرفأ بحري وقلعة تقع في قرية بلجان وهي قرية واقعة جنوب شرق البصرة[3]، وفي هذا يقول ياقوت الحموي عن بلجان: «بلجان: بالفتح ثم السكون، جيم وألف ونون: قرية كبيرة بين البصرة وعبّادان رأيتها مرارا آخرها سنة 588هـ أو بعدها، وهي فرضة مراكب الكيشي التي تحمل بضائع الهند، وبها قلعة ووال من قبل ملك كيش ليس لمتولي البصرة معه فيها حكم، ثم جرى بين صاحب كيش وصاحب البصرة خلف أدى إلى تحويل أصحاب ملك كيش إلى بليد في طرف جزيرة عبّادان من جهة البصرة تسمى المحرزة، وصارت فرضة المراكب وهي باقية على ذلك إلى هذا الوقت»[4].

فصار حاكم قيس هو المسؤول عن تعيين وال على قرية بلجان يخضع له مباشرة ولا يخضع للسلاطين الأجانب، بعد ذلك اضطر حاكم قيس لنقل هذا المرفأ إلى قرية قريبة أخرى هي قرية المحرزي التي صارت مركزا تجاريا وفرضة[5] إذ وصفها ياقوت بقوله: «فرضة

(1) أحمد وناجي. العمق العربي لجزر الساحل الشرقي للخليج العربي. مرجع سابق، ص 126.

(2) التطيلي. رحلة بنيامين. ص 196.

(3) أحمد وناجي. العمق التاريخي العربي لجزر الساحل الشرقي للخليج العربي، مرجع سابق، ص 111 - 112.

(4) الحموي. معجم البلدان. ج1، ص 179.

(5) أحمد وناجي. العمق التاريخي العربي لجزر الساحل الشرقي للخليج العربي. مرجع سابق، ص 112.

المراكب»[1].

2 - 5 - الانهيار الاقتصادي لميناء جزيرة سيراف:

من ناحية أخرى لعب الانهيار الاقتصادي لميناء سيراف دورا حاسما في تحويل جزيرة قيس إلى مركز تجاري كبير في منطقة الخليج العربي والمحيط الهندي، فميناء سيراف من الموانئ التجارية القديمة في منطقة الخليج العربي[2]، حيث استحوذت سيراف وميناؤها على نصيب الأسد في التجارة الدولية، وجاء بروز سيراف وعلو شأنها في دنيا التجارة على حساب جزيرة قيس وبعض جزر الخليج العربي، هذا بدوره أدى إلى اختفاء أهمية جزيرة قيس وخازك، وقد كانت سيراف أكبر ميناء تجاري في العصر الإسلامي وفرضة مراكب الهند، وهذا أضر بوضعية قيس وموقعها من الطريق الملاحي البحري. ومما يؤكد ذلك هو ما حدث من تطورات تجارية وسياسية حظيت بها جزيرة قيس على أثر أفول نجم سيراف في نهاية القرن الرابع الهجري.

تعرضت سيراف لمتغيرات سياسية واقتصادية قاسية سببت أفول نجمها في دنيا التجارة، ومن جملة هذه المتغيرات اضطراب الأوضاع السياسية للبويهيين، وعدم اهتمامهم بتطوير المرافق التجارية وموانئ التجارة الخارجية، وكان لعدم تشجيع التجار أيضا دور في انهيارها[3]. يضاف إلى ذلك تصاعد خطر القراصنة في البحر واعتداءاتهم المتكررة على الملاحة البحرية في الخليج العربي، كما كان لتنامي نفوذ الأمراء العرب من آل زهير السامي وآل عماره دور كبير، إضافة إلى غارات المغول على سيراف وتدميرها فلم يسكن فيها إلا الصيادون[4].

كما كان لمعاملة البويهيين القاسية تجاه التجار دور كبير في انهيارها، كذلك ضعف الخلافة العباسية والسياسات التدميرية في الهضبة الإيرانية، وظهور السلاجقة وتكثيف انتشارهم في إيران والتقسيم الإداري لضواحي كرمان وفارس وخوزستان، وعوامل مختلفة أدت إلى تدمير سيراف وأفول نجمها من دنيا التجارة[5].

لكن العامل الرئيس في انهيار الدور التجاري لسيراف تعرضها لزلزال في عام 366هـ/976م، وهذا أدى بطبيعة الحال إلى هجرة سكانها الذين كان أغلبهم تجارا سكنوا

(1) الحموي. معجم البلدان. ج1، ص 179

(2) جمنكار. جايكاه كيش در تجارت دربابي عصر ملوك محلي بني قيصر. مرجع سابق، ص 5.

(3) أحمد وناجي. العمق العربي لجزر الساحل الشر في للخليج العربي. مرجع سابق، ص 155.

(4) علو. صراع القوى التجارية في الخليج العربي. مرجع سابق، ص 11.

(5) تبار وبراونه. أفول سيراف تارونق هرمز. مرجع سابق، ص 55.

جزيرة قيس، واعتبروها الميناء الجديد الذي سيواصلون من خلاله تجارتهم وأعمالهم التجارية. ووجدوا فيها كل ما يناسبهم ويحقق تواصلهم التجاري مع العالم، فموقعها قريب من سيراف موطنهم الأصلي وموقعها المتميز يتوسط تقريبا الخليج العربي[1].

كما كانت هجرة بني قيصر علامة فارقة في تاريخ الجزيرة التجاري حيث تفوقت قيس في عهدهم في النقل البحري والنشاط التجاري، وهذا راجع لنشاط التجار تحت حكم بني قيصر الذين كانت قاعدتهم دمج عناصر الثقافة البحرية التي كانت في المناطق الساحلية للخليج العربي. كما أن التجار في عهدهم قدموا من جزيرتي هرمز وقيس إلى شرق إفريقيا، وانتقلوا منها إلى سواحل موزمبيق، فقاموا بإنشاء مستعمرات هناك سهلت بعدها عملية انتقال السلع والتبادل التجاري بين هذه المناطق وجزيرة قيس وفارس وجزر الخليج العربي[2].

1 - 6 - دور الأتابك أبو بكر في تنمية اقتصاد قيس واستمراره:

كانت فترة حكم الأتابك أبو بكر سعد زنكي (623– 659هـ/1226 - 1260م) فترة ازدهار وانتعاش شهدها الاقتصاد القيسي خاصة والاقتصاد الفارسي عامة، فتنمية اقتصاد جزيرة قيس والعمل على المضي به قدما ساهم في انتعاش وازدهار الاقتصاد الفارسي، فكلاهما مرتبط بعضه ببعض[3]، وقد أدرك الأتابك أبو بكر مدى الأهمية الكبيرة التي شكلها اقتصاد قيس بالنسبة للأتابكية حيث نلاحظ ومنذ الوهلة الأولى لاستيلائه على الجزيرة أنه قام بتغيير اسم الجزيرة من قيس لتصبح بيت الحكومة، لذا كانت التسمية تحمل مغزى كبير، حيث أصبحت الجزيرة مركز حكومة فارس إداريا وسياسيا واقتصاديا، لذا حمل هذا الاسم مغزى وهو إحكام السيطرة على هذه الجزيرة وعلى اقتصادها الثري، واعتبارها عاصمة فارس الجديدة[4].

لقد قام الأتابك أبو بكر بأعمال مهمة وأعمال كثيرة ترتب عليها تبوأ قيس مركزا تجاريا ًمهما في حكمه، حيث أضحت المحور الرئيسي للتجارة في منطقة الخليج العربي والمحيط الهندي[5]. وأصبحت الميناء الرئيس الذي يستقبل البضائع ويقوم بتصريفها وتوزيعها في مناطق عديدة في فارس والهند والصين والبصرة وعمان وشرق إفريقيا[6].

(1) تبار وبراونه. أفول سيراف تارونق هرمز. مرجع سابق، ص 8.

(2) ياجيما. تجارة بحر الهند في عصر المغول مع الاهتمام بالنشاط التجاري لتجار قيس. مرجع سابق، ص 12.

(3) تبار وبراونه. أفول كيش تارونق هرمز. مرجع سابق، ص 81.

(4) جمنار. جايكاه جزيرة كيش در تجارت دريايي عصر ملوك محلي بني قيصر. مرجع سابق، ص 20.

(5) المرجع نفسه، ص 20.

(6) تبار وبراونه. أفول كيش تارونق هرمز. مرجع سابق، ص 81.

ولقد قضى الأتابك أبو بكر على حكومة بني قيصر في جزيرة قيس في عام 626هجري بمساعدة ملك هرمز سيف الدين أبو النصر، فولاه بعدها جزيرة قيس على أن يكون تابعاً للأتابكية[1]. ولكن بسبب تمرده هاجمه أبو بكر في جزيرة قيس سنة 628هـ وقام بقتله واستولى على الجزيرة وأدار شؤونها بنفسه[2].

وتوجد إشارة جميلة في كتاب فارسنامه ناصري، وكتاب سفر نامه لكاتبه ناصر خسرو[3]، حيث ذكر ما دب من خلاف بين الأتابك أبي بكر وسيف الدين أبي نصر، مما حدى بالأتابك أبو بكر إلى القضاء عليه واستعادة جزيرة قيس، وقد أدى هذا النصر إلى تحقيق ازدهار في تجارة أسواقها، ومن هنا نلاحظ أن كتاب فارسنامة ناصري تطرق إلى ذكر الانتعاش الاقتصادي الذي شهدته الجزيرة في حكم أبو بكر السلغري حيث شكل عاملا مهما في ازدهار الجزيرة[4].

وكان الأتابك أبو بكر يحصل على نسبة كبيرة من دخل خزائن جزيرة قيس التي لا تعد ولا تحصى، كما وصفها المؤلفان الفارسيان أمير وفرهاد. وقد كتب أحد الكتاب الإيرانيين وهو عباس إقبال معلقا على استيلاء أبو بكر على قيس فيما معناه: بعد أن تولى حكم الجزيرة بنفسه نجح في كسب الثروات التي لا حصر لها من ثروات الجزيرة، لأن الجزيرة كانت أساسا منتعشة بالأسواق العامرة والأمتعة النفيسة[5].

وقد قام الأتابك بعد أن تولى زمام أمور الجزيرة بنفسه بإعادة ترتيب الأوضاع السياسية فيها، وذلك بتغيير اسمها وتشكيل هيئة أمنية تتكون من مجموعة من أفراد من التركمان والأكراد وأسند إليهم مهمة الدفاع عن الجزيرة[6]. كما أعاد ترتيب القوة التي كانت على الساحل، وأعاد تنظيم الساحل وموانئه، كما قام بتوفير أرزاق الناس من خبز وخلافه، وحرص

(1) آل خليفة، عبدالله بن خالد. البحرين في القرن السابع الهجري الصراع بين قيس وهرمز يفتح الباب لوصول السلغريين للخليج. مجلة الوثيقة، البحرين، مج 1، ع2، 1983م، ص 29.

(2) المرجع نفسه، ص 28 – 29.

(3) سفرنامة: كتاب ألفه الرحالة الفارسي الأصل ناصر خسرو حيث جمع فيه أخبار وروايات رحلته التي قام بها فوصف وصفا دقيقا للحالة الاجتماعية والاقتصادية للبلاد التي كان يمر بها، ولد ناصر خسرو في بلدة تابعة لبلخ سنة 394هـ/1003م. ونال حظا وافرا من معارف عصره، وقام في شبابه بجولات في إيران وتركمستان والهند والجزيرة العربية، ثم اشتغل وزيرا لدى السلاجقة. انظر: محمد. أشهر الاكتشافات الجغرافية في العالم. القاهرة - مصر، دار اللطائف، ط1، 2002م، ص 32.

(4) تبار وبراونه. أفول سيراف تارونق هرمز. مرجع سابق، ص 82.

(5) المرجع نفسه، ص 82.

(6) آيتي. عبد المحمد. تحرير تاريخ وصاف. مؤسسة الثقافه الإيرانية، طهران، (د، ت)، د. ط، ص 9.

كل الحرص على تطبيق العدالة لضمان استقرار الجزيرة، وكانت كل سياسات الأتابك أبو بكر موجهة نحو التطور السياسي وزيادة النمو الاقتصادي للجزيرة[1].

كما كان للأتابك أبو بكر بُعد نظر في السياسة، حيث أنه عمل كل جهده على أن لا تفقد قيس المناطق التابعة لها، والتي ضمتها حتى قبل استيلاءه عليها، وحرص كل الحرص على استمرار تبعية هذه المناطق وإحكام السيطرة عليها لما فيها من فوائد كثيرة تعود أولا على خزائن جزيرة قيس وبالتالي خزائن الأتابكية، وثانيا مد نفوذه على مناطق واسعة وضمان دفع تلك المناطق للجزية السنوية المفروضة عليها لجزيرة لقيس[2].

فحرص الأتابك على أن تبقى تلك المناطق مذعنة وخاضعة لقيس وقام بإرسال مندوب له للبقاء في البحرين للحصول على خراجها[3]. وكان الأمير العيوني منصور بن علي العيوني يدفع خراج البحرين لجزيرة قيس[4]، إلى أن قتله قائد جيشه ويدعي محمد العيوني واستولى على مقاليد الحكم في البحرين، وكما هو معروف فالبيت العيوني كان بيت تسوده النزاعات وتسيطر عليه الفرقة، إضافة إلى أن الكثير من العيونيين ينظرون إلى اتفاقية قيس مع البحرين على أنها اتفاقية ظالمة، لأنها حرمتهم من دخلهم وثرواتهم التي أصبحت تصدر إلى جزيرة قيس، وهذا ما جعلهم في فقر وحاجة.

وعندما تولى محمد العيوني الحكم في البحرين قام بطرد ممثل الأتابك، وحدث هذا في سنة 633هـ، عندها أرسل الأتابك أبو بكر حملة إلى البحرين من أجل الاستيلاء عليها[5].

كما أنه واصل تلك الحملات بحملات أخرى، ففي عام 641هـ استولى على القطيف، وفي عام 654هـ عين الأتابك أبو بكر عصفور بن راشد حاكما على البحرين، وعين ماجد بن علي بن ماجد بن عمر مندوبا على خراج البحرين، واستمرت تلك السياسة حتى احتلال المغول لبلاد فارس وانتهاء حكم الأتابكة السلغريين.

كانت السيطرة على البحرين والقطيف متماشية مع النمو الذي كانت تشهده جزيرة قيس، فهي تعتبر مصدر دخل جيد لقيس، التي كانت القاعدة الرئيسة للمتاجرة مع الهند، وقد وجد

(1) تبار وبراونه. أفول سيراف تارونق هرمز. مرجع سابق. ص 82.

(2) أيتي. تحرير تاريخ وصاف. مرجع سابق، ص 9.

(3) تبار وبراونه. أفول سيراف تارونق هرمز. مرجع سابق، ص 83.

(4) آل خليفة. البحرين في القرن السابع الهجري الصراع بين قيس وهرمز بفتح الباب لوصول السلغريين للخليج. مرجع سابق، ص 29.

(5) تبار وبراونه. أفول كيش تارونق هرمز. مرجع سابق، ص 83.

الأتابك أنه لا مفر أمامه من الاهتمام بدخول جزيرة قيس، لأن الهجوم المغولي أدى إلى الخراب، كما أنه لا حيلة أمامه للتصدي لهذه الغارة المدمرة الكاسحة؛ لذا وافق على الدخول في طاعتهم، ووافق على دفع الخراج للبلاط الإلخاني[1].

يضاف إلى ذلك الدمار الذي حل بالطرق البرية بسبب هجمات المغول، فتحولت التجارة إلى الطرق البحرية باعتبارها أكثر أمنا من الطرق البرية، فأصدر الأتابك أبو بكر أمرا للقوات البحرية بالتحرك، والذهاب للهند والسيطرة على مدينة كنباید التي هي جزء من كجرات الهندية.

ومما تقدم نستطيع القول إن مساعي الأتابك كانت مثمرة وناجحة في جعل قيس مستمرة في تصدر التجارة الدولية طوال حياته. وقد عيّن الأتابك شهاب الدين خسرو الكيشي حاكما لجزيرة قيس، هذا الحاكم والحكام الذين خلفوه في الجزيرة تمكنوا من الحفاظ على ريادة جزيرة قيس في دائرة الصدارة التجارية في مياه الخليج العربي والمحيط الهندي، حيث كان والى الأتابك يتصدى لأي محاولة لضرب تجارة قيس وإنهاء زعامتها التجارية، فكانت القوات البحرية جاهزة وتحت أمر الوالي في الدفاع عن جزيرة قيس، وكل ما يهدد أمنها وسلامة التجارة والتجار فيها، ونتيجة لهذا دخلت العديد من السلع إلى جزيرة قيس من سواحل الصومال وشرق إفريقيا[2].

1 - 7 - القوة الاقتصادية للتجار الكبار:

بعد عقود من بداية العصر العباسي الثاني انتشرت ظاهرة بشكل ملفت تتمثل في اعتماد الحكام على رجال الأعمال أو المدبرين الماليين والإداريين؛ وفي هذا الإطار أقطع الملك المغولي الإيلخاني كيخاتو بن أباقا بن هولاكو جزيرة قيس وإقليم فارس إلى تاجر عراقي اسمه إبراهيم بن محمد الطيبي السواملي، وكان ذلك حوالي 692هـ، وكانت مدة الإقطاع المبدئية أربع سنوات[3].

كان الشيخ جمال الدين إبراهيم بن محمد الطيبي كبير أسرة الطيبي، فبسط نفوذه على مساحات شاسعة من الأراضي والجزر في منطقة الخليج العربي، وقد وصل سلطان أسرة الطيبي إلى جنوب الهند، حيث سيطروا على السواحل الجنوبية الغربية للهند، وبلغوا شأنا كبيرا في السياسة، وأثروا في مجرياتها وكانوا من الأسر المقربة للإلخانيين، وجمال الدين هو

(1) المرجع نفسه، ص 83.

(2) تبار وبراونه. كيش أفول سيراف تارونق هرمز. مرجع سابق، ص 85.

(3) أبو عزة. الخليج العربي في العصر الإسلامي. مرجع سابق، ص 421.

إبراهيم بن محمد بن سعد الطيبي ابن السواملي العرافي، وهو معروف بابن السواملي، ويعتبر كبير أسرة الطيبي، ورئيس التجار توفي في شيراز، وقبل موته تعرض لكارثة كبيرة عندما صادر المغول منه أموالا ضخمة.

والسوامل كالطاسات أو الكاسات أواني مصنوعة من الخزف، وكان في بداية حياته يعمل في إعداد اللؤلؤ للبيع، واستطاع بذلك أن يدخر من كسب عمله ألفي درهم جعلها رأس ماله[1]، عندما تحول إلى ممارسة التجارة ربح أموالا طائلة في رحلة تجارية إلى الصين، وصار بعدها من كبار التجار، وكان معظما في بلاد الشرق جدا.

قال ابن منتاب: قال لي جمال الدين السواملي: «ما بقي لي شيء سوى هذا الخَّب وأراني خَّبا فيه ثمانون ألف دينار، فبعثه إلى الصين فكسب الدرهم تسعة، وولّى ابنه سراج الدين عمر نيابة الملك بالمعبر، وصار ابنه محمد ملك شيراز، ولابنه عز الدين كامل جميع ممالك فارس، ورزق جمال الدين من السعادة ما لأحد لها، وقيل إنه اشترى صدفة مجوفة بدرهم، وذلك في أول سعادته وكسرها، فخرج منها درة بيضاء مدورة زنتها خمسة عشر حبة، فقيل إنها قوّمت على الملك أيضا بستين ألف دينار وهي التي كانت أول سعادته»[2]. ولقب بملك الإسلام، والسبب في ذلك أن إمارته في مملكة الإسلام، وكان يهدف لتخليص الأمة من ظلم المغول والتركمان.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا إن كان هدف ملك الإسلام تخليص الناس من المغول والتركمان فكيف دخل في خدمة المغول؟ وكيف كان واحداً من رجالاتهم، كيف وقد استدعي إلى شيراز للعمل على إيجاد الحلول عندما مرت الدولة الإلخانية بأزمات اقتصادية كبيرة، وكيف كان يحول جزءاً من أرباح تجارته باللؤلؤ إلى خزائن الإلخانيين، كيف به وهو يدفع الهدايا الثمينة للبلاط الإلخاني، هل كان هدفه هو التقرب منهم واستمالتهم حتى تحين الفرصة من أجل ضرب مصالحهم في الخليج العربي[3].

أما كان هذا اللقب مجرد ستار لكسب تأييد الناس والمعارضين من حوله، وأنا أرجح الرأي الثاني، حيث أرى أنه اتخذ من لقب ملك الإسلام ستاراً لبسط نفوذه وتبرير هجماته على السفن وعلى الموانئ والجزر الثرية، ولكسب رضى من حوله وتأييده.

(1) علو. صراع القوى البحرية والتجارية في الخليج العربي خلال العصور الإسلامية. مرجع سابق، ص 115.

(2) المرجع نفسه، ص 115.

(3) جمنكار، محمد جعفر. العصر المغولي والتأثير التجاري الخليج. مطالعات تاريخ إ سلامي، مجلة الجامعة، طهران - إيران، العام الأول، العدد الثاني، صيف 1391هـ، ص 12.

اتخذ ملك الإسلام من جزيرة قيس مركزا لفعالياته، وقيل إنه رفق بالرعية وصار له أولاد مثل الملوك بعد تنصيبه عليها من قبل المغول. وفي جزيرة قيس بدأت تجارته تزدهر وتأخذ طريقها في الاتساع والنمو السريع من الخليج العربي حتى وصلت سواحل الصين والهند ومالابار، وكانت تجارة اللؤلؤ والخيول العربية الأصيلة جزءا رئيسيا من نشاطه التجاري[1].

كان جزء من ثروته وأمواله تُحول إلى خزائن الدولة الإلخانية خصوصا من تجارة الخيل، وكان يصدر سنويا إلى الهند 1400 رأساً من الخيول، ويصل سعر الحصان الواحد منها إلى 200 دينار من الذهب الأحمر[2].

احتكر ملك الإسلام التجارة بين الخليج العربي والمحيط الهندي، وبسط نفوذه على أجزاء واسعة منه[3]، فتمكن من إدخال القطيف والإحساء وجزر البحرين تحت سيطرته، مستغلا الصراع الذي نشب بين بني عصفور والعامريين، وصار بعدها يلقب بهذا اللقب.

واستطاع أن يؤسس أسرة حاكمة جديدة، وصار أولاده الذين ولاهم حكم فارس يحملون ألقاب ملكية، وقد خلفه ابنه عبد العزيز، ولكن بعدها دب نزاع بين أحفاد ملك الإسلام، وتقاتلوا فيما بينهم فاستغل أعداءهم هذه الفرصة -فرصة انشغالهم بصراعاتهم الداخلية- فتمكنوا من طردهم من فارس سنة 725ه/1324م، ثم قام أمير هرمز بطردهم من جزيرة قيس سنة 730هـ/1330م[4].

ولم يكن ملك الإسلام هو التاجر الوحيد الذي برز في هذه الأسرة فقد برز غيره وكثير من التجار، فأسرة الطيبي عرفت واشتهرت بالتجارة، ومن هؤلاء التجار الذي برزوا الشيخ عز الدين عبد العزيز والتاجر شمس الدين محمد بن مالك، حيث كان لهذين التاجرين باع كبيرة في التجارة في عصر المغول، وكان التاجر الملك شمس الدين محمد بن مالك من آخر التجار المشاهير في إيران في هذه الحقبة، وكانت له تجارات كثيرة ومتنوعة بين الصين وأوروبا، وكان صاحب منزلة كبيرة، وكانت إن بضاعته تنتقل من إيران إلى أقصى أوروبا.

لقد قامت أسرة الطيبي بدور كبير ومميز في تاريخ الخليج العربي سواء من الناحية السياسية أو الاقتصادية في النصف الأول من القرن الثامن الهجري، خاصة سيطرتها على بلاد البحرين وجزرها وسواحلها وواحاتها وريادنها في الملاحة البحرية.

(1) المرجع نفسه، ص 22.

(2) جمنكار. جايكاه جزيرة كيش درتجارتدريايي عصر ملوك محلي بني قيصر. مرجع سابق، ص 22.

(3) أبو عزة. الخليج العربي في العصر الإسلامي. مرجع سابق، ص 421.

(4) المرجع نفسه . ص 422.

وكان الطيبيون يدفعون بعض المال لبني عامر سنويا لضمان إخضاعهم وقبولهم بالسلطة الطيبية والتزامهم بعدم التدخل[1].

وقد مرّ الانتعاش والازدهار الاقتصادي لجزيرة قيس بثلاث مراحل:

المرحلة الأولى:

كانت في القرن الثاني الهجري، حيث كان يوجد أقوام من العرب من عمان والبحرين يضاف إلى ذلك قبائل إيرانية وكردية وديلمية موجودة في فارس وعائلة الجاشو التي كانت موجودة في كرمان، وهاجرت هذه العائلة لتسكن جزيرة قيس، حيث كان لديهم أسطول حربي هاجموا به سيراف، وخاضوا منافسة شديدة مع المدن الهندية وميناء عمان، كما أنهم احتكروا الطرق البحرية والأعمال التجارية[2].

المرحلة الثانية:

وهي التي بدأت من القرن الثاني فترة حكم بني قيصر لجزيرة قيس، وخلال فترة حكمهم قاموا بغزو عدن وبناء مواقع تجارية في قندهار وسومنات في الهند، كما أنهم نجحوا في السيطرة على صادرات زنجبار في شرق إفريقيا وجزر الهند الشرقية، كما أنهم نجحوا في السيطرة على صادرات اللؤلؤ، فاحتكروا جمعه وبيعه وكان من ضمن تجارتهم الرئيسة في الخليج العربي كما أنهم سيطروا على مناطق اشتهرت باستخراجه وبيعه كما أنهم دخلوا في منافسة مع هرمز منذ بداية القرن الثالث عشر لفتح أسواق تجارية في ظفار بعمان والبصرة في العراق.

المرحلة الثالثة:

كانت في منتصف القرن الثالث عشر حيث حكمت عائلة الطيبي جزيرة قيس، فحلت محل عائلة بنو قيصر، وامتد نفوذ هذه العائلة إلى جنوب الهند فحكمت ميناء كورومانديال في مقاطعة مالابور، كما أقامت هذه العائلة علاقات تجارية مع الصين ودول جنوب شرق آسيا والهند، فكانت كل هذه المناطق تحت سيطرتهم التجارية. كما نجحت هذه العائلة مثل عائلة بني قيصر في الغوص بحثا عن اللؤلؤ، وكانت المنافسة في زمنهم بين قيس وهرمز على أشدها إلى أن الوجود المغولي في إيران ساهم مؤقتا في تقوية نفوذ قيس وتفوقها التجاري على

(1) المرجع نفسه، ص 422.

(2) ياجيما، تجارة بحر الهند في عصر المغول مع الاهتمام بالنشاط التجاري لتجار جزيرة قيس، مرجع سابق، ص 9 – 10.

هرمز[1].

3. ملامح الدور الثقافي لجزيرة قيس

لا شك أن النشاط الثقافي هو من أكثر جوانب النشاط الإنساني إشراقا وتألُّقًا، وتعبيرا عن العمق الحضاري للأمم والشعوب، فهو يعلن عن شخصيتها، ويعكس أصالتها، ويقدم عقول النوابغ منها في أعظم ما تجود به قرائحهم من فنون العلم وثمرات المعارف.

وجزيرة قيس على صغرها فقد برز فيها الكثير من أهل العلم سواء من أبنائها أو من الذين سكنوها أو مروا منها، ويمكن أن نذكر أبرزهم بما يسمح به هذا البحث ومنهم:

3 - 1 - شمس الدين الكيشي:

وهو محمد بن أحمد بن عبد اللطيف القرشي الكيشي عالم ومصنف ومشارك في علوم، ولد هذا العالم في جزيرة قيس سنة 615هـ/1218م، وهو قرشي الأصل[2] درَس في المدرسة النظامية[3] ببغداد، وتوفي في شيراز في سنة 695ه/1295م -.

يقول ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان: «ورأيت فيها جماعة من أهل الأدب والفقه والفضل، وكان رجل صنف كتابا جليلا فيما اتفق لفظه وافترق معناه، ضخم رأيته بخطه في مجلدين ضخمين ولا أعرف اسمه الآن»[4].

ولا شك أن كلام ياقوت الحموي يحمل في طياته تصوراً للحياة الثقافية في جزيرة قيس في الفترة الإسلامية حيث اشتهرت جزيرة قيس بظهور علماء فيها وبروزهم في الساحة العلمية، فبرز فيها شمس الدين الكيشي هذا العالم العربي الذي ألف كتاب (الإرشاد إلى علم الإعراب)، فكان بمثابة ثروة علمية أضيفت إلى علم النحو بعد أن تم تحقيقه.

---

(1) ياجيما، تجارة بحر الهند في عصر المغول مع الاهتمام بالنشاط التجاري لتجار جزيرة قيس، مرجع سابق، ص 10.

(2) الكيشي، محمد بن أحمد. الإرشاد إلى علم الإعراب. تحقيق: يحيى مراد، د. م، كتب عربيا، د. ط، د. ت، ص 3.

(3) المدرسة النظامية: أنشأت على يد الوزير نظام الملك في عام 459هـ / 1066م في زمن الخليفة العباسي أبو جعفر عبد الله القائم بأمر الله ولقد كسبت المدرسة شهرة كبيرة وكانت بجانب الرصافة من بغداد ولقد درس في هذه المدرسة علوم مختلفة واعتبرت مع المدرسة المستنصرية من أشهر مدارس العصر العباسي. انظر: معروف، ناجي. نشأة المدارس المستقلة في الإسلام. بغداد - العراق، مطبعة الأزهر، ط1، 385هـ / 1966م، ص 19.

(4) الحموي. معجم البلدان. ج4، ص 422.

ووصف الصفدي في كتابه (الوافي بالوفيات) الكيشي بأنه كان مصنفا، ولكن لم يذكر الفنون التي صنف فيها، ووصفه بأنه كان عالما، ولكن لا نعلم الفنون الأخرى التي برع فيها[1].

ومن خلال البحث عن هذا العالم يتبين أنه أجاد علوم النحو والصرف والفقه والأصول والكلام والمنطق والجدل، وهي العلوم التي شارك فيها وقام بتدريسها في المدرسة النظامية في بغداد، وهذا مجرد افتراض، ولا نجزم أنه لم يشارك في علوم أخرى، وهذا الافتراض مبني على ما وصل إلى أيدي المحققين من آثار الكيشي وهو كتاب (الإرشاد إلى علم الإعراب)، وعند الاطلاع عليه يتضح للقارئ أسلوب ومنهج الكيشي في التأليف، ولعل في ذلك ما يؤيد هذا الافتراض ويؤكد أنه شارك في العلوم التي ذكرناها.

لم يطل المقام بالكيشي في جزيرة قيس حيث غادرها إلى بغداد، ليعمل مدرسا فيها، ثم رحل بعدها إلى شيراز، ولعل الرحلة الأولى التي قام بها هذا العالم كانت في وقت مبكر من حياته، ولا يستبعد أن يكون قد زار في هذه الرحلة عُمان ثم هجرْ ثم البصرة في طريقه إلى بغداد، ولا يعرف الوقت الذي استغرقته هذه الرحلة.

والرحلة الثانية للعالم الكيشي كانت من بغداد إلى شيراز، ولكن المصادر لم تسعفنا بذكر تلاميذه وشيوخه والعلماء الذين التقى بهم، فكانت المعلومات عن ترجمة العالم الكيشي شحيحة جدا.

يظهر من خلال مُصنف الكيشي (الإرشاد إلى علم الإعراب) الأسلوب والمنهج الذي اعتمده في التأليف ووفرة المعلومات الواردة فيه، ونحن على أمل أن يتم العثور على المؤلفات الأخرى التي ألفها الكيشي.

3 - 2 - إسماعيل بن مسلم العبدي الكيشي:

تولى القضاء في جزيرة قيس، وهو في الأصل من أهالي مدينة البصرة، لكنه تحول إلى الجزيرة وسكنها. عرف أنه كان من رواة الحديث الموثوقين توفي في حدود سنة 160ه/776م -[2]. وقد ذكره الإمام الحافظ أبي حاتم محمد بن المنذر التميمي في كتابه الجرح والتعديل قائلا: «إسماعيل بن مسلم العبدي بصري قاضي قيس روى عن الحسن وأبي المتوكل روى عنه يحيى بن سعيد وابن مهدي ووكيع وأبو نعيم سمعت أبي وأبا زرعة يقولان ذلك، زاد أبي روى عنه علي بن نضر الجهضمي وشعيب بن حرب ومسلم بن إبراهيم، قال أبو محمد: وروى عن

(1) الصفدي، صلاح الدين خليل. الوافي بالوفيات. تحقيق أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيرو – لبنان، ط1، 200م، ص100.

(2) أحمد، ناجي. العمق التاريخي العربي لجزر الساحل الشرقي للخليج العربي. مرجع سابق، ص 106.

عطاء وأبي كثير مولى الأنصار، سمعت أبي يقول: «لا أعلم إلا أني سمعت مسلم بن إبراهيم يقول: كان شعبه يقول لنا اذهبوا إلى إسماعيل بن مسلم العبدي يعني قاضي قيس». كما يقول: «حدثنا عبد الرحمن أن علي بن أبي طاهر فيما كتب قال: قلت لأبي عبد الله يعني أحمد بن حنبل: إسماعيل بن مسلم العبدي؟ فقال: ليس به بأس ثقة هذا بصري». كما قال: «حدثنا عبد الرحمن قال: ذكره أبي عن إسحاق بن منصور الكوسج عن يحيى بن معين أنه قال: إسماعيل بن مسلم العبدي ثقة»[1].

كما قال عنه في كتابه: «حدثنا عبد الرحمن قال سمعت أبي يقول إسماعيل بن مسلم العبدي قاضي قيس ثقة صالح سئل أبو زرعة عن إسماعيل بن مسلم العبدي قاضي قيس، فقال: ثقة وليس هو بالمكي»[2].

3 - 3 - أحمد بن عبد الله الكيشي:

يقال إنه رحل إلى مصر في القرن الرابع الهجري، وتولى فيها وظيفة النظر في الأحكام في شهر ربيع الآخر سنة 331هـ/942م، وظل في هذه الوظيفة مدة ثلاث شهور[3].

وقال أبو عمر الكندي: «قدم بكران بن الصباغ في صفر من الشام واليا على الأحباس ونفقة الأيتام، وقدم معه أحمد بن عبد الله الكيشي من قبل الحسين بن وهروان، وقد جعل إليه النظر في الأحكام، وذلك في ربيع الآخر سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة، ثم إن الأمير قبض يدي الكيشي عن النظر، ثم رأى أن يولي عبد الله بن أحمد بن شعيب فولاه خليفة لابن هروان فكانت ولاية الكيشي ثلاث أشهر»[4].

3 - 4 - أبو الفتوح عبد الواحد بن عبد الوهاب البغدادي الصوفي:

كان يشغل منصب الناظر في المارستان العضدي في بغداد، ولقد قصد الجزيرة رسولا من الخليفة، قد سكن بها ومات سنة 608ه/1211م -[5]، وقد ذكره ابن الأثير في كتابه الكامل في التاريخ في حوادث سنة 608هـ.

---

(1) أبي حاتم، عبد الرحمن. الجرح والتعديل. حيدر آباد، الهند، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط1، 1952م، ص 196 – 197.

(2) المرجع نفسه ص 197.

(3) أحمد، ناجي. العمق التاريخي العربي لجزر الساحل الشرقي للخليج العربي. مرجع سابق، ص 106.

(4) الكندي، محمد بن يوسف. الولاة وكتاب القضاة. مدينة الأندلس، مؤسسة قرطبة، ط1، د. ت، ص 409.

(5) أحمد، وناجي. العمق التاريخي العربي لجزر الساحل الشرقي للخليج العربي. مرجع سابق، ص 106 – 107.

3 - 5 - أبو عبد الله محمد بن عثمان الزبيدي اليمني:

هو من أهالي اليمن، وقيل إنه خرج من اليمن مع جماعة من الصوفية فسكن جزيرة قيس ومات بها، وفي اعتقادي بأنه من علماء الصوفية.

3 - 6 - الشيخ محمد بن الكيشي:

هو من أهالي جزيرة قيس ولها نسب[1]، رحل عن الجزيرة، وسكن مدينة أربيل، وتوفي فيها، ويقع قبره بالقرب من مسجد المدينة، وهو شيخ صالح اشتهر بأعمال الخير، وفي اعتقادي بأنه من علماء الدين، المشهود لهم بالعلم والفضل والتقوى[2].

3 - 7 - أعلام احتضنتهم الجزيرة:

لقد احتضنت جزيرة قيس كذلك العديد والكثير من الرحالة والعلماء والأدباء والشعراء والجغرافيين الذين قصدوها، فمنهم من قصدها بغرض الإقامة والسكن، والبعض الآخر للاستفادة، وكان من ضمن الشعراء الذين قصدوا الجزيرة وسكنوا فيها:

1. سعدي الشيرازي:

شاعر القرن السابع الهجري، هذا الشاعر الذي خلَّد شعرهُ أحداثاً تاريخيةً مهمة، ونقلت أبياته إلينا صورة زمن لم نعشه ولم نعاصر أجواءه، هذا الشاعر الذي نقل لنا شعره الشيء الكثير عن الشخصيات الحاكمة وغيرها من المدن والعواصم وأحوال الناس والعباد.

كانت جزيرة قيس وجهة الشاعر سعدي ليستقر بها، ويسكن بها هاربا من هجمات المغول، فعاش سعدي في جزيرة قيس أربع سنوات[3]، وتلمس حال الجزيرة المزدهر وعرف الكثير عنها، والتقى فيها العديد والكثير من الناس، فجاء شعره حاويا الكثير من أحوال هذه الجزيرة وأحوال ساكنيها.

والشاعر سعدي الشيرازي هو مشرف بن مصلح السعدي الفارسي المكنى بأبي عبد الله، هو شاعر وناثر فارسي كبير، ولد في شيراز وتلقى علومه الأولية فيها، ثم تابع دراسته في

(1) المرجع نفسه، ص 107.

(2) أحمد المبارك. تاريخ إربل. تحقيق: سامي بن السيد، وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر، العراق، ط1، ج1، 1980م، ص 372.

(3) بختياري، حسن. تاريخ كيش القديم. معهد العلوم الإنسانية والدراسات الثقافية – بوابة العلوم الإسلامية الشاملة، طهران – إيران، 1313ش، ص 12.

المدرسة النظامية في بغداد، وكان من محبي الإمام الصوفي عبد القادر الجيلاني. التقى بعلماء بغداد وحصل على علوم اللغة العربية وآدابها والقرآن الكريم والحديث وبلغ في ذلك شأنا كبيرا[1].

يعتبر سعدي الشيرازي من كبار شعراء القرن السابع الهجري وأفصحهم وأعذبهم نطقا، وقد عدَّه بعض أساتذة الشعر أحد الأركان الأربعة للشعر الفارسي إضافة إلى الفردوسي والأنوري والنظامي. له (بوستان) و(علستان) و(الديوان، وله شعر جميل بالعربية) [2].

عاش سعدي في فترة حكم الأتابكية. حكى لنا الكثير في شعره مصورا فارس في ظل أبي بكر[3].

2. ياقوت الحموي:

يعد ياقوت الحموي أكثر الجغرافيين والرحالة الذي زاروا الجزيرة وأقاموا فيها فترة طويلة من الزمن، حيث زار الجزيرة ثماني مرات، وكتب عنها الشيء الكثير، ووصفها وصفا دقيقا، وتطرق لذكر كل جوانب الحياة فيها من أرض ومساحة وحكام وسكان وزراعة وغيره الكثير.

وياقوت الحموي هو الشيخ الإمام شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، ولد في بلاد الروم (الأناضول)، ومن هنا سمي أحيانا بالرومي وكان مولده في سنة 575هـ/1169م، وقد أسر وهو صغير وبيع لتاجر حموي كان يقيم في بغداد، فنسب ياقوت إليه، وغلب عليه لقب الحموي. ورأى التاجر أن يستفيد من هذا الغلام النابغة في حساباته وتجاراته فأدخله مدرسة يتعلم فيها الكتابة إلا أن ياقوت الحموي توسع في دراساته، واهتم بالنحو والأدب، فأرسله سيده في تجاراته في الخليج العربي وعمان والشام فأغرم بالسفر والرحلات.

ثم أعتقه سيده سنه 596هـ/1199م، ولم يلبث أن دب الخلاف بينهم فتعاطى ياقوت نسخ الكتب ليعيش منها، وأفاد من ذلك الشيء الكثير إذ هيأ له ذلك الاتصال بعدد كبير من الأدباء والرواة، ثم عاد الود بينه وبين سيده القديم إلى ما كان عليه، فاستأنف ياقوت أسفاره التجارية وعند عودته رأى أن سيده مات بعد أن أوصى له ببعض ثروته، فاشتغل ياقوت بتجارة الكتب،

(1) مراد، يحيى. معجم تراجم الشعراء العرب. القاهرة - مصر، دار الحديث، د. ط، ج1، 1427هـ - 2006م، ص 424.

(2) مراد، يحيى. معجم تراجم الشعراء العرب. مرجع سابق، ص 424.

(3) هنداوي، محمد موسى. سعدي الشيرازي شاعر الإنسانية. القاهرة – مصر، مكتبة الخانجي، ط1، 1951م، ص 20.

لكنه اشتاق إلى الأسفار والرحلات فأخذ يتجول في فارس والجزيرة العربية وآسيا الصغرى ومصر والشام، وحيثما حل كان يلتهم ما في خزائن البلاد من الكتب، وفي مرو بدأ في وضع كتابه معجم البلدان، هذا الكتاب الذي حوى الكثير عن جزيرة قيس، فكتب عنها ما أغفله غيره، ونظر إليها نظرة التاجر إلى منبع التجارة[1].

نتائج البحث

أخيرا يمكن أن نرصد من خلال هذه الورقة البحثية النتائج التالية:

1. حملت جزيرة قيس أسماء كثيرة عبر تاريخها، لكن أصحها وأقدمها هو: (قيس) نسبة إلى (قيس بن عمير)، عمَّرها وسكنها في العصر الجاهلي، وقد وقع المؤرخ المتأخر ابن مجاور (601هـ– 691هـ/1204 - 1291م) في خطأ عندما نسبها إلى قيس بن زهير، لأن عمير على وزن زهير، مما أوقع المؤرخ ابن مجاور في لبس حدا به لاحقاً أن ينسبها إلى قيس بن عمير، فابن مجاور لم يتحر الدقة في ذلك.
2. رغم الصراعات القائمة بين القوى المتصارعة في الخليج العربي فإن ذلك لم يثن حكامها عن تحقيق آمالهم وطموحاتهم في السيادة السياسية والتجارية على حد سواء.
3. يختلف ولاء حكام الجزيرة حسب اختلاف القوى في المنطقة، فأينما كانت تسير مصالحهم كانوا يسيرون، وهذا منطق العصر الذي تألقت فيه الجزيرة، فالتبعية للقوي والعيش في كنفه قاعدة سار عليها جميع حكام الجزيرة ليتمكنوا من كسب الوقت وتحقيق أكبر قدر من الإنجاز.
4. ساعد موقع الجزيرة المتوسط مياه الخليج العربي في أن تلعب أدوارا اقتصادية كبيرة حيث أصبحت فرضة عظيمة، ولم يكن الموقع الجغرافي وحده هو العامل الأساسي، بل في الحقيقة تضافرت عدة عوامل كان أهمها بلوغ بني قيصر سدة الحكم فيها.
5. بفضل الأمراء العرب وسياساتهم تحولت الجزيرة إلى بيئة تلتقي فيها الثقافات المتنوعة، فاجتمع فيها شعوب كثيرة من العالم، وقصدها الشاعر والمؤرخ والتاجر، فتنوعت فيها الثقافات مما حدا أن ينعكس ذلك على الحياة الاجتماعية في الجزيرة، فارتفعت المباني وتعددت طوابقها وتألقت هندستها المعمارية التي سرت الناظرين، ولفتت انتباه المؤرخين والمدونين.

(1) محمد. أشهر الاكتشافات الجغرافية في العالم. مرجع سابق، ص 34 – 35.

6. اجتمع في الجزيرة الكثير من العلماء والمثقفين الذين خلد التاريخ أسماءهم فكانت نبراسا يضيء ماضي الجزيرة وتاريخها، ويكشف لنا مدى ما بلغته الحياة العلمية في جزيرة من تألق وعطاء..

7. لقد غاض تألق قيس وبروزها على الساحة القوى المحيطة بها فقررت القضاء عليها، ليخلوا لها الجو، وتستحوذ على تجارتها وثرواتها، فدخلت الجزيرة نتيجة لذلك في منافسة شرسة مع القوى المجاورة لها، مما جعل الخليج العربي منطقة غير آمنة بعد ضعفها وخضوعها لمملكة هرمز الناشئة.

قائمة المصادر والمراجع:

آيتي. عبد المحمد (د.ت.). تحرير تاريخ وصاف. مؤسسة الثقافه الإيرانية.

أحمد، ناجي (1991). العمق التاريخي العربي لجزر الساحل الشرقي للخليج العربي. دار الحكمة للطباعة والنشر.

تبار وبراونه (د.ت.). كيش أقول سيراف تارونق هرمز. مور خان.

التطيلي. بنيامين (1945). رحلة بنيامين التطيلي (ترجمة عذرا حداد). الوراق للنشر.

جمنكار. (1391هـ). جايكاه جزيرة كيش درتجارتدريايي عصر ملوك بني قيصر. مقاله در فصلنامه. بزوهشنامه.

جمنكار، محمد جعفر (1391هـ). العصر المغولي والتأثير التجاري الخليج. مطالعات تاريخ إسلامي، مجلة الجامعة، *2*.

جواد، نعمت محمد (2016). الخليج العربي في كتب الرحالة والجغرافيين المسلمين. دار الكتب والوثائق.

أبي حاتم، عبد الرحمن (1952). الجرح والتعديل. مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية.

الحموي، ياقوت (د.ت.). معجم البلدان. دار صادر.

حويرب، جمال (2013). جزيرة قيس بن عمير أم كيش. جريدة البيان، *33*(10).

ابن خرداذبه (1889). المسالك والممالك. مطبعة بريل.

آل خليفة، عبدالله (1983). البحرين في القرن السابع الهجري الصراع بين قيس وهرمز يفتح الباب لوصول السلغريين للخليج. مجلة الوثيقة، *1*(2).

خوري والتدمري (2000). سلطنة هرمز العربية، مركز لدراسات والوثائق.

السيرافي، سليمان (2016). رحلة السيرافي إلى الهند والصين واليابان وأندونيسيا

(تحقيق على البصري). الفرات للنشر والتوزيع.

الصفدي، صلاح الدين خليل (2000). الوافي بالوفيات (تحقيق أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى). دار إحياء التراث العربي.

أبو عزة. عبد الله (2001). الخليج العربي في العصر الإسلامي دراسة تاريخية حضارية. مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع.

علو، عمار (2017). القوى البحرية والتجارية في الخليج العربي خلال العصور الإسلامية. دار الجنان للنشر والتوزيع.

القزويني، زكريا (د.ت.). آثار البلاد وأخبار العباد. دار صادر.

الكندي، محمد بن يوسف (د.ت.). الولاة وكتاب القضاة.مؤسسة قرطبة.

الكيشي، محمد بن أحمد (د.ت.). الإرشاد إلى علم الإعراب (تحقيق يحيى مراد). كتب عربيا.

المبارد، سالم سعدون (1981). الخليج العربي دراسة في الجغرافيا الإقليمية. دار الحرية للطباعة.

المبارك، الاربلي (1980). تاريخ إربل (تحقيق سامي بن السيد).دار الرشيد للنشر.

ابن مجاور، يوسف بن يعقوب (1951). تاريخ المستبصر (صححها وضبطها أوسكر لوفغرين). مطبعة بريل.

مجمع اللغة العربية، (2014). المعجم الوجيز. دار الكتب المصرية.

محمد، عاطف (2002). أشهر الاكتشافات الجغرافية في العالم. دار الطائف.

مراد، يحيى (2006). معجم تراجم الشعراء العرب، ج1. دار الحديث.

معروف، ناجي (1966). نشأة المدارس المستقلة في الإسلام. مطبعة الأزهر.

المقدسي، محمد بن أحمد (1906). أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم (ط2). مطبعة بريل.

هنداوي، محمد موسى (1951). سعدي الشيرازي شاعر الإنسانية. مكتبة الخانجي.

ويلسون، أرنولد (2012). الخليج العربي من العصور الأولى حتى بداية القرن العشرين. ترجمة مركز المؤسسة الدار العربية للموسوعات.

ياجيما، (1975). تجارة بحر الهند في عصر المغول مع الاهتمام بالنشاط التجاري لتجار جزيرة قيس. جامعة المعلومات والثقافة بطوكيو، 3(4).

الترجمة الصوتية لمصادر ومراجع اللغة العربية: Romanization Arabic References:

ʾāyatuy ʿabdu almuḥammadi d t). taḥrīru tārīkhi waṣāfin muʾassasatu al-thqāfh al-ʾīrānyah

ʾaḥamdun nājī 1991). alʿumqa al-tārīkhiyya alʿarabiyya lijazari al-sāḥili al-sharqiyyi lil-khalīji alʿarabiyyi dāru alḥukmati lil-ṭibāʿati wa-al-nashri

tabārin wabrawnuhu d t). kīsha ʾufūlu syrāf tārwnq hurmuzu mūrra khānun

al-tṭyly binīāmayni 1945). riḥlatan binīāmayni al-tṭyly tarjamata ʿudhrā ḥidādi alwirāqa lil-nashri

jmnkār (1391h). jāykāh jazīrata kīsha drtjārtdryāby ʿaṣra mulūki bunnī qayṣarun maqāluhu dur fṣlnāmh bzwhshnāmh

jmnkār muḥammada jaʿfari 1391h). alʿaṣra almaghūliyyi wa-al-taʾthīri al-tijāriyyi alkhalīja muṭālaʿātu tārīkhi ʾislāmiyyi majallata aljāmiʿati 2.

jawādun naʺamat muḥammadu 2016). alkhalīja alʿarabiyya fī kutubi al-raḥḥālati wa-al-jughrāfiyyīna almuslimīna dāru alkutubi wa-al-wathāʾiqi

ʾabī ḥātimun ʿabda al-Raḥmāni 1952). aljurḥa wa-al-taʿdīla miṭbaʿatu majlisi dāʾirati almaʿārifi alʿuthmāniyyati

ulḥumuī yāqūta d t). muʿjamu albuldāni dāru ṣādiru

ḥīrb jamāla 2013). jazīrata qīsa bn ʿamīrin ʾam kīsha jarīdatu albayāni 33(10).

ibna khrdādhbh 1889). almasālika wa-al-mmālk miṭbaʿatun birayyalin

ʾāla khalīfatun ʿabdāllta 1983). albaḥrayni fī alqarni al-sābʿi alhijriyyi al-ṣirāʿa bayna qīsa whrmz yaftaḥu albāba liwuṣūli al-slghryyn lil-khalīji majallatu alwathīqati 1(2).

khawariyyun wa-al-tadmuriyyu 2000). salṭanata hurmuzu alʿarabiyyata markazun lidirāsātin wa-al-wathāʾiqi

al-sīrāfiyyi salīmāni 2016). riḥlata al-sīrāfiyyi ʾilā alhindi wilṣiyanna wa-al-yābāna wʾndwnysyā

(taḥqīqun ʿalā albaṣariyyi alfarrāti lil-nashri wa-al-tawzīʿi

al-ṣafadiyyu ṣalāaḥa al-dīni khalīla 2000). al-wāfy bi-al-wafiyyāti taḥqīqun ʾaḥamida al-ʾrnʾwṭ watarkiyya muṣṭafā dāra ʾiḥyāʾi al-turāthi alʿarabiyyi

ʾabū ʿizzatin ʿabdu al-lhi 2001). alkhalīja alʿarabiyya fī alʿaṣri alʾislāmiyyi dirāsata tārīkhiyyata ḥaḍāariyyata maktabatu alfalāaḥi lil-nashri wa-al-tawzīʿi

ʿuluwwun ʿummāra 2017). alqūā albaḥriyyata wa-al-tijāriyyata fī alkhalīji alʿarabiyyi khilāla al-ʿṣwr alʾislāmiyyata dāru aljinnāni lil-nashri wa-al-tawzīʿi

alqazwīniyyu zakariyyā d t). ʾāthāru albilādi waʾakhbāri alʿibādi dāru ṣādiru

alkanadiyyu muḥammada bn yūsf d t). alwulātu wakitābu alquḍāti muʾassasatu qurṭubatin

al-kyshy muḥammada bn ʾaḥamida d t). alʾirshādu ʾilā ʿilmi alʾiʿrābi taḥqīqa yaḥyā murādi kataba ʿarabiyyan

almubādiru sālima saʿdūni 1981). alkhalīja alʿarabiyya darrāsatun fī aljughrāfīā alʾiqlīmiyyati dāru alḥurriyyati lil-ṭibāʿati

almubāraku al-arbly 1980). tārīkha 'irbl taḥqīqa sāmmiyya bn al-sayyidi dāra al-rashydi lil-nashri

ibna mujawirin yūsf bn ya'qūbi 1951). tārīkha almustabṣiri ṣaḥḥaḥahā waḍabṭahā 'awasukkara lwfghryn miṭba'atan birayyalin

majma'u al-lughata al'arabiyyata 2014). almu'jama alwajīza dāru alkutubi almiṣriyyati

muḥammadun 'āṭifa 2002). 'ashahra aliktishāfāti aljughrāfiyyati fī al'ālami dāru al-ṭā'ifi

murādun yaḥyā 2006). mu'jama tarājimi al-sha'rā'i al'aribi j dāra alḥadythu

ma'rūfun nājī 1966). nash'ata almudārisi almustaqillati fī al'islāmi miṭba'atu al'azhari

almuqaddasiyyu muḥammada bn 'aḥamida 1906). 'aḥusna al-taqāsymi fī ma'rifati al'qālīmi ṭ miṭba'atan birayyalin

hindawiyyun muḥammada mūsā 1951). sa'day al-shīrāziyya shā'ira al'insāniyyati maktabatu al-khānjy

wayalisūna 'rnwld 2012). alkhalīja al'arabiyya mina al-'ṣwr al'wlā ḥattā bidāyati alqarni al'ushurayni tarjamatu markazi almu'assasati al-dāra al'arabiyyata lil-mawsū'āti

yājymā 1975). tijārata baḥri alhindi fī 'aṣri almaghūli ma'a alihtimāmi bi-al-nashāṭi al-tijāriyyi litujārru jazīratu qīsa jāmi'atu alma'lūmāti wa-al-thaqāfati biṭūkīū'in 3(4).

Aspects of the Economic and Cultural Role of the Qais Island in the Arabian Gulf 366 - 731 H / 977 - 1330 AD

Mariam Ali Alkindi(1)

Nadjib Benkheira(2)

Abstract:

This study deals with the features of the civilizational role of the economic and cultural activities of the island of Qais in the Arabian Gulf. It starts with its name and the importance of its location then highlights the achievements made during the study period. The study also examines the way the successive rulers of the island turned it into a very important station, which increased its economic and political potentials which extended to the different lands that were geographically far away from them. This research equally draws on the cultural life the island witnessed and the scientists who emerged from it, whether among its inhabitants or among those who passed through it.

Keywords: Qais Island, Economic and Social Life, Jamal Al-Din Al-Tayyibi.

(1) College of Communication - University of Sharjah (Sharjah - U.A.E.)
malkindi.3535@gamil.com

(2) College of Communication - University of Sharjah (Sharjah - U.A.E.)